مجلة كليّة

الدعوة الإسلامية

مجلّة إسلاميّة - ثقافيّة - جامعة - محكمة - تصدر سنويًا

العدد
السادس عشر
1999

1429 من ميلاد الرسول صلى الله عليه وسلم 1999 إفرنجي

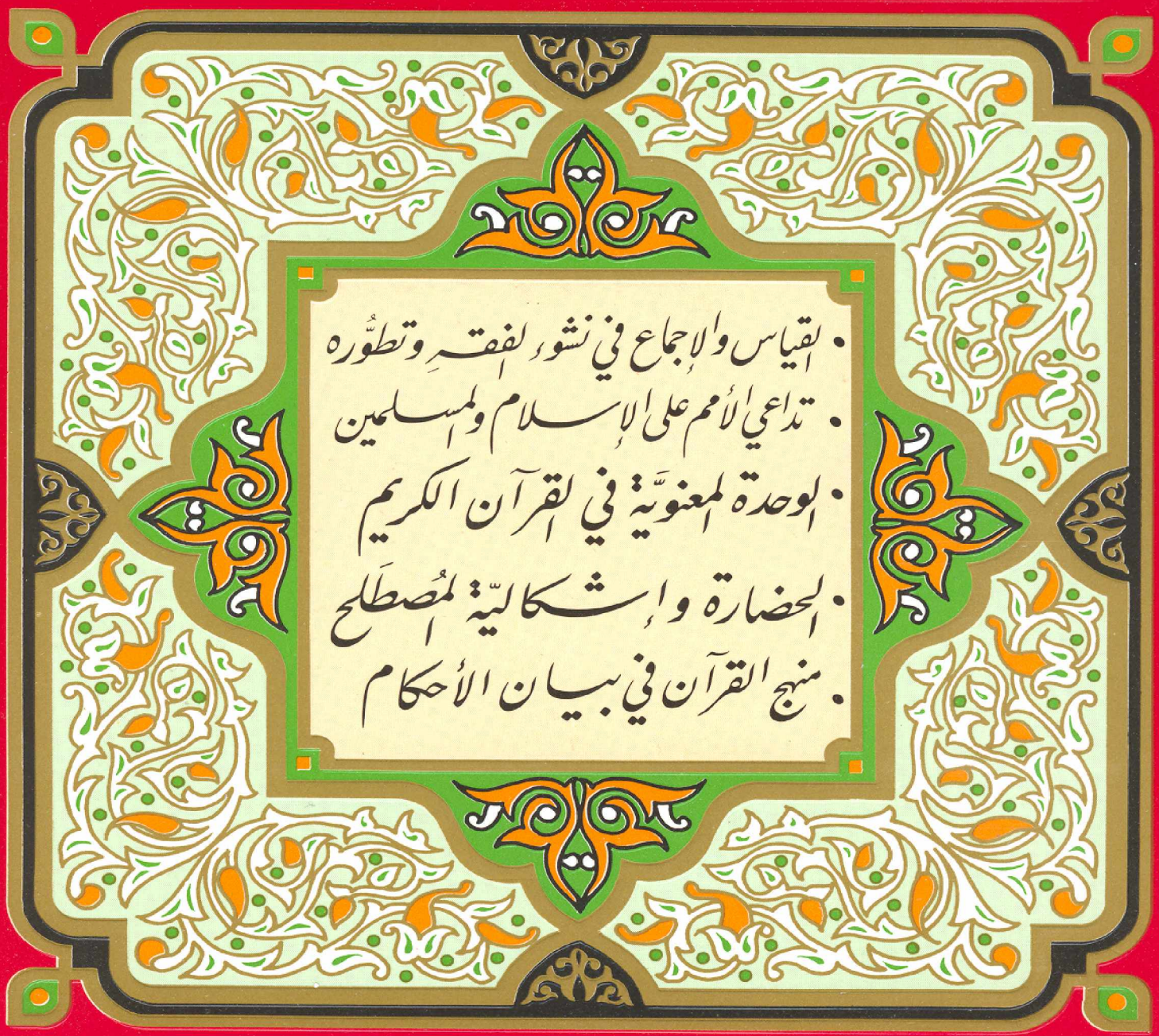

الاطّـــراد

د. زهير غازي زاهد

الاطّراد: مصدر الفعل اطَّرَدَ على وزن (افتعل) وأصله (اطترد) كما قرر الصرفيون، فأبدلت تاء الافتعال طاء ثم أدغم الطاء في سابقه على وفق قانون المماثلة في اللغة، ويعالج هذا القانون تأثر الأصوات المتجاورة في الكلمات والجمل وميلها إلى الاتفاق في المخارج والصفات نزوعاً إلى الانسجام الصوتي واقتصاداً في الجهد الذي يبذله المتكلم[1]. فالأفعال المبدوءة بأصوات الإطباق (الصاد والضاد والطاء والظاء) حين نصوغ منها على (افتعل) تحوّل التاء فيها، وهو صوت منفتح، إلى نظيره الطاء المطبق بتأثير المجاورة، ونوع المماثلة مُقْبِل لتأثر الثاني بالأول، ولو كان العكس فهو مُدْبِرٌ، كما هو في مثل كلمة (سِتّ) وأصلها سِدْس فقربوا السين من الدال بأن قلبوها تاء فصارت (سدت) فهذا تقريب لغير إدغام، ثم إنهم فيما بعد أبدلوا الدال تاء لقربها منها[2].

جاء في اللسان مادة (طرد): الاضطراد: وهو افتعال من طراد الخيل أي عدوها وتتابعها فقلبت تاء الافتعال طاء ثم قلبت الطاء الأصلية ضاداً فهي لهجة من لا يميل إلى الإدغام والضاد والطاء كلاهما من حروف الإطباق، ولقرب مخرجيهما صح إبدال أحدهما من الآخر.

(1) في البحث الصوتي عند العرب ـ د. خليل العطية ـ بغداد 1983.

(2) الخصائص ـ ابن جنّي 2/ 145.

الاطّراد في اللغة التتابع، واطّرد النهر تتابع جريان مائه وعلى هذا قولهم: اطّرد الكلام أو الحديث: جرى مجرى واحداً متسقاً، والأنهار تطّرد أي تجري. وفي حديث الإسراء: «**وإذا نهران يطّردان**»[3] أي يجريان. وطَرَدَه: أبعده ونحّاه أو هزمه. وطَرَدَ الدواب: ضمها من أطرافها، وطَرَدَ الصيد: عالجه يحاول صيده، وطَرَدَ بصره في أثر القوم: أرسله وكذا طرد القاعدة أو الحكم: أرسله عاماً، وبهذا المعنى يكون دلالة اطّراد القاعدة وهي قاعدة مطّردة كما سيأتي في الاصطلاح.

والاطراد من مصطلحات النحويين ويراد به التتابع والاستقامة واطّراد القاعدة يعني تتابعها وعدم تخلفها، واطّراد القياس كذلك، وقد استعمل النحاة هذا المصطلح وما اشتق منه في مواضع كثيرة خصوصاً في الصرف والنحو حين اتسع تأثرهم بمنهج المناطقة، قال ابن مالك في صيغة جمع القلة (أفعلة):

في اسم مذكر رباعيٍّ بمدْ ثالثِ أفعلةٌ عنهم اطّرد[4]

أي صيغة الجمع على (أفعلة) تطّرد في جمع اسم مذكر رباعي بمدّ قبل آخره مثل طعام وأطعمة ورغيف وأرغفة وعمود وأعمدة. وقالوا: فواعل مطّرد في جمع فوعل كجوهر وجواهر. ومن أقوالهم: لا يلزم كونه شائعاً أن يكون مطّرداً، وهو مطّرد في كذا وكذا أو أنه لا يطّرد فيها. وقولهم: الجرّ بغير (ربّ) محذوفاً على قسمين: مطّرد وغير مطّرد[5].

يقابل المطّرد مصطلح الشاذ وهو التفرّق والتفرّد كما ذكر ابن جني، وقد فتح باباً في الخصائص سماه «باب القول على الاطراد والشذوذ»[6] قائلاً: أصل

---

(3) كذا جاء في لسان العرب (طرد) لكنه في صحيح البخاري كتاب التوحيد (7079) «**فإذا هو في السماء بنهرين يجريان**».

(4) شرح ابن عقيل 2/ 456 وانظر أيضاً ص455 ـ 459.

(5) انظر معجم المصطلحات النحوية والصرفية ـ سمير نجيب اللبدي 139، شرح ابن عقيل 2/ 29.

(6) الخصائص 2/ 97.

مواضع (ط ر د) في كلامهم التتابع والاستمرار. وقال مقسماً الكلام في الاطراد والشذوذ إلى أربعة أقسام:

1 ـ مطّرد في القياس والاستعمال.

2 ـ مطرد في القياس شاذ في الاستعمال.

3 ـ المطرد في الاستعمال الشاذ في القياس.

4 ـ الشاذ في الاستعمال والقياس.

والاطّراد لدى المناطقة وثيق الصلة بدلالته اللغوية، فاطرد القياس: دار الحكم فيه مع الوصف وجوداً وعدماً، واطرد الحد: تتابعت أفراده وجرت مجرى واحداً كجري الأنهار. والاطراد: هو كلما وجد الحد وجد المحدود ويلزمه كونه مانعاً من دخول غير المحدود فيه[7].

ويقابله مصطلح (الانعكاس) وهو كلما انتفى الحد انتفى المحدود، أو كلما وجد المحدود وجد الحد، وهذا معنى كونه جامعاً.

والاطراد لدى الأصوليين أيضاً يرد في مباحث العلة في مجال القياس للوصول إلى تعميم الحكم قياساً على ما ثبت في النص. فكراهة البيع على سبيل التمثيل وقت النداء للصلاة من يوم الجمعة ثبت بنص الآية: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ فَٱسْعَوْاْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلْبَيْعَ﴾ لعلة الانشغال عن الصلاة، فحكم الكراهة يطّرد فيشمل أيّة معاملة وقت النداء للصلاة إذ تقاس بالبيع في حكمه[8].

والاطّراد لدى البلاغيين من المصطلحات البديعية: هو أن يذكر المتكلم اسم الممدوح واسم من أمكن من آبائه مرتبة على حكم ترتيبها في الولادة. ومنه قوله عليه الصلاة والسلام: «**الكريم بن الكريم بن الكريم بن الكريم يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم**»[9] وكذا جعل منه قوله تعالى حكاية عن

---

(7) الكليات ـ لأبي البقاء الكفوي 140.

(8) انظر تفصيل ذلك في كتاب علم أصول الفقه ـ عبد الوهاب مخلوف 52 ـ 54.

(9) شرح صحيح البخاري للكرماني 17/ 160، المعجم المفهرس لألفاظ الحديث، ونسنك 6/ 3.

يوسف: ﴿وَٱتَّبَعْتُ مِلَّةَ ءَابَآءِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ﴾[10] حيث لم يرد مجرد ذكر الآباء ولهذا لم يأت على الترتيب المألوف بل قصد ذكر الملّة الحنيفية التي ابتدأها إبراهيم، فوجب أن يبدأ لأجل ذلك باسم المبتدي بالملة المتبعة، ثم يذكر من أخذها عنه أولاً فأولاً على الترتيب، فاقتضت البلاغة ذكر إسحاق بعد إبراهيم وذكر يعقوب بعد إسحاق[11]. ولصفيّ الدين الحلّي قول في الاطّراد وهو أن يذكر الشاعر اسم الممدوح ولقبه وكنيته وصفته اللائقة به، واسم من أمكن من أبيه وجده وقبيلته، وشرط أن يكون ذلك في بيت واحد من غير تعسف ولا تكلّف ولا انقطاع بألفاظ أجنبية، وأورد على ذلك قول بعضهم:

مؤيد الدين أبو جعفر

محمد بن العلقمي الوزير[12]

ومن مصطلحات البلاغيين أيضاً الاستطراد وهو مصدر الفعل استطرد، ومعناه اللغوي[13] من استطرد له في الحرب وغيرها فرّ منه كيداً ثم كرّ عليه، وفي الاصطلاح هو الانتقال من معنى إلى معنى آخر متصل به، ثم يقصد بذكر الأول التوصل إلى الثاني. والاستطراد عند ابن المعتز[14] هو الخروج من معنى إلى معنى وجعل منه قوله تعالى: ﴿أَلَا بُعْدًا لِّمَدْيَنَ كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ﴾[15] ذكر ثمود استطراداً[16].

(10) سورة يوسف، الآية: 38.

(11) بديع القرآن لابن أبي الإصبع 141، 142، الكليات 141.

(12) معجم البلاغة العربية ـ بدوي طبانة 1/ 457.

(13) اللسان (طرد).

(14) البديع 111.

(15) سورة هود، الآية: 95.

(16) انظر بديع القرآن 49، الكليات 110، الإشارات والتنبيهات في علم البلاغة ـ محمد بن علي الجرجاني 269، معجم البلاغة العربية 459.